عزالدين بن عثمان العديدي

# اغتيال ستالين وتصفية البُلشفية

يا عمال العالم، اتحدوا

طريق البلشفيّة

موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي


# اغتيال ستالين وتصفية البُلشفية


عزالدين بن عثمان الحديدي



دار النشر البلشفي العربي

القيروان، فيفري 2020

# المحتويات

1. التّضال الثّوري للبلاشفة بقيادة ستالين ضدّ التّحريفيّة المعاصرة.....4

2. اغتيال ستالين.....15

3. بدء الهجوم على البُلشفيّة مباشرة بعد اغتيال ستالين.....19

4. حول النضال المزعوم لماو تسي تونغ والحزب الشّيوعي الصّيني ضد التحريفية المعاصرة .....22

5. أنور خوجة وحزب العمل الألباني: التآمر على ستالين والبُلشفيّة سنة 1956 ومحاولة التستر سنة 1975.....32

# 1. النضال الثوري للبلاشفة بقيادة ستالين ضد التحريفية المعاصرة

بعد وفاة لينين وخلال فترة العشرينات من القرن الماضي وحتى منتصف الثلاثينات خاض البلاشفة بقيادة ستالين نضالا شاملا إيديولوجيا وسياسيا ضدّ شتى الانحرافات اليمينيّة و«اليسارية» للأممية الثّانية و«الثّانية ونصف» والتروتسكية والبوخارينية وغيرها. كان ذلك التضال عالميا في الاتّحاد السّوفييتي وفي جميع الأحزاب الشّيوعيّة وقد أفضى ذلك النّضال إلى انتصار ساحق للبُلشفيّة وتعزيز الوحدة الإيديولوجية والسّياسيّة والتّنظيميّة للطبقة العاملة السّوفييتيّة والعالميّة ورفع درجة النضج النّظري والسّياسي للأحزاب الشّيوعيّة. كان ذلك تحضيرا ضروريا للطبقة العاملة وسائر الكادحين لخوض المعارك الكبرى التّي تنتظرها سواء من أجل سحق البرجوازيّة وبناء الاشتراكيّة في الاتّحاد السّوفييتي أو من أجل القيام بالثّورة ضدّ الإمبرياليّة وسحق الفاشيّة.

كانت النجاحات الباهرة في بناء الاشتراكيّة والانتصار على النازيين بقيادة الاتّحاد السّوفييتي وانتصار الثّورة ضدّ الرّأسماليّة الإمبرياليّة في عدد كبير من البلدان وتشكل معسكر اشتراكي قوي في مواجهة المعسكر الإمبريالي تجسيما قويّا لصحّة الخط النّظري والسّياسي للحركة الشّيوعيّة العالميّة بقيادة ستالين والبلاشفة.

خلال فترة المعارك والانتصارات العظمى تلك والممتدة من أواسط الثّلاثينات حتّى حوالي 1947 بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية، لم يكن الصّراع الإيديولوجي والسّياسي ضدّ الانتهازيّة بتلويناتها على جدول الأعمال. كانت المعركة الرّئيسيّة لجميع الشّيوعيّين الأمميّين تتمثّل في هزيمة الفاشيّة الهتلريّة تحت قيادة الاتّحاد السّوفييتي. كان على الشّيوعيّين في جميع البلدان بناء وقيادة جبهات وطنيّة واسعة ضدّ الفاشيّة تكون حلقات في سلسلة الجبهة العالميّة ضدّ الفاشيّة بقيادة الاتّحاد السّوفييتي. ولتحقيق ذلك كان من الضّروري بالنّسبة للشّيوعيّين في جميع البلدان أن

يتحالفوا مع الاشتراكيّة الدّيمقراطيّة وأن يعقدوا اتّفاقات حتّى مع ديمقراطيين برجوازيّين (أو وطنيّين إصلاحيّين في المستعمرات وأشباه المستعمرات) معادين فعلا للفاشيّة.

هذا الاحتكاك والتحالف بين الطبقة العاملة في جميع البلدان والقوى البرجوازيّة الدّيمقراطيّة والبرجوازيّة الصّغيرة رغم ضرورته وصحّته لتحقيق النّصر على الفاشيّة بقيادة الاتّحاد السّوفييتي وفي نجاح الثّورة في عديد البلدان في أوروبا الشّرقيّة وآسيا، كان له جانبه السّلبي والمتمثّل في تسرّب التّأثير البرجوازي والبرجوازي الصّغير في صلب الطبقة العاملة والذّي انعكس داخل الأحزاب الشّيوعيّة في تفشّي الانحرافات اليمينيّة والتّصفويّة المبشّرة بالتّعاون الطبقي والبرلمانيّة البرجوازيّة والدّاعية إلى التّخلي عن النّضال الثّوري ضدّ الرّأسماليّة الإمبرياليّة. هذه «التّحريفيّة المعاصرة» انتشرت في الأحزاب الشّيوعيّة على المستوى العالمي وفي الحزب الشّيوعي البُلشفي نفسه.

مباشرة بعد انتهاء الحرب العالميّة وبالتوازي مع العمل الجبار لإعادة بناء وطن الاشتراكيّة، شرع البلاشفة بقيادة ستالين في خوض نضال عالمي نظري وسياسي ضدّ التّحريفيّة المعاصرة من أجل تطهير الحزب البُلشفي والحركة الشّيوعيّة العالميّة من تلك العناصر المتفسّخة.

ككل التّحريفيّين، اتخذ التّحريفيّون المعاصرون من «الخصوصيّة القوميّة» و«نبذ الدغمائيّة» أساسا لتطوير تحريفيتهم وإنكارهم للمبادئ العامّة للماركسيّة اللينينيّة وقيادة البروليتاريا العالميّة. تصدى البلاشفة بقوة لهذا الانحراف، نقرأ في الصّحيفة النّظرية للحزب البُلشفي ما يلي: «إن الادعاء القائل بأن كلّ بلد يسير نحو الاشتراكيّة حسب طريق أصيلة كليا وبأن هناك عددا من الطرق بمثل عدد البلدان غير صحيح. إن قول ذلك يعني إنكار المغزى العالمي لتجربة البُلشفيّة. إن القوانين العامّة للانتقال من الرّأسماليّة إلى الاشتراكيّة التّي اكتشفها ماركس وأنجلس وتمت تجربتها من طرف ماركس وأنجلس والتّي جرّبها وطبقها وطوّرها لينين وستالين على قاعدة تجربة الحزب البُلشفي والدّولة السّوفييتيّة، هي ملزمة لكل البلدان. إن التّجربة العظيمة للحزب البُلشفي هي مرشد عمل بالنّسبة للشّيوعيّين والشغّالين في جميع البلدان»[1]

[1] صحيفة البُلشفي، 15 سبتمبر 1948

اتخذ ماو والحزب الشّيوعي الصّيني موقفا مغايرا تماما حيث يعتبران أنّ كلّ تطوّر الثّورة الصّينيّة كان مناقضا لخط ستالين والكومنترن. يقول الحزب الشّيوعي الصّيني بعد فترة طويلة من وفاة ستالين: «منذ فترة بعيدة، قد مرّ الشّيوعيّون الصّينيّون في تجربتهم الشّخصيّة الخاصّة ببعض أخطاء ستالين. أُرْتُكبت أخطاء خطوط داخل الحزب الشّيوعي الصّيني. فقد كانت إمّا انتهازيّة «يساريّة» أو يمينيّة. فيما يتعلّق بأسبابها العالميّة، أُرْتُكب البعض منها تحت تأثير بعض أخطاء ستالين. منذ نهاية العشرينات، ثم خلال الثّلاثينات، وأخيرا في بداية وأواسط الأربعينات، عمل الماركسيّون اللينينيّون، والرفاق ماو تسي تونغ وليو شاوشي كممثيلهم، على محاصرة تأثير بعض أخطاء ستالين، ثم، بعد القضاء بالتّدريج على الخطوط الخاطئة لكل من الانتهازيّة «اليساريّة» واليمينيّة، قادوا في النهاية الثّورة الصّينيّة إلى النصر.»[2]

وكان الحزب الشّيوعي البُلشفي السّوفييتي يحارب أيضا «التّطوير» الذّي جلبه ماو للنّظرية اللينينيّة عن الدّولة من أجل تحويل الصّين إلى دكتاتوريّة البروليتاريا والفلاحين في مواجهة «الدّيمقراطيّة الجديدة» لماو. ففي ندوة علمية أقامها معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السّوفييتيّة، قدم يي زوكوف المحاضر الأساسي تقريرا جاء فيه «من الخطر أن نرى في الثّورة الصّينيّة نموذجا للثورات الدّيمقراطيّة الشعبية في بلدان آسيوية أخرى». شدّد أيضا يي زوكوف في تقريره على أن «الديمقراطيات الشعبية هي شكل خصوصي للدكتاتوريّة الدّيمقراطيّة الثورية للبروليتاريا والفلاحين»[3]. وفي نفس الإطار كتب أيضا أ. سوبوليف «في سياق الثّورة تبرز الدّيمقراطيّة الشعبية كجهاز للسلطة الثورية التّي هي من حيث محتواها نوع من دكتاتوريّة الطبقة العاملة والفلاحين»[4].

وفي مقال نشر في الذكرى السّبعين لميلاد ستالين يحمل عنوان «النّظرية السّتالينية في الثّورة الكولونياليّة والحركة التحررية الوطنيّة في إفريقيا الجنوبية والاستوائية» شنّ البلاشفة

---

[2] حول مسألة ستالين، 10 مارس 1958، في كتاب خطابات الرئيس ماو، ص 101، طبعة ستيوارت شرام

[3] يي زوكوف: طابع وخصوصيات الدّيمقراطيّة الشعبية في بلدان الشرق، 1952

[4] أ. سوبوليف: البُلشفي، عدد 19، أكتوبر 1951

هجوما مباشرا على التّحريفيّة المعاصرة في مسائل الثّورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات: «تؤكد النّظرية السّتالينية في الثّورة داخل المستعمرات على أن حلّ المسألة الكولونياليّة وتحرير الشّعوب المضطهَدة من العبودية، أمر مستحيل بدون الثّورة البرولتارية والإطاحة بالإمبرياليّة. فخلال السنوات الأخيرة ومنذ الحرب العالميّة الثّانية انتشرت فكرة تقول بإمكانية محو النّظام الاستعماري دون تحطيم نمط الإنتاج الرّأسمالي خاصة في أوساط المثقفين البرجوازيين في البلدان المستعمرة، أن البرجوازيّة الوطنيّة تتمنى لو تحصل على الاستقلال. كما تأمل الحصول على فرصة حكم بلدها بصورة مستقلة مع الاحتفاظ بنمط الإنتاج الرّأسمالي ومع تجنب كلّ الإصلاحات الجذرية الدّيمقراطيّة. إن الأساس النّظري لوجهة النظر هذه هو التصور الكاوتسكي للإمبرياليّة»[5]. ويضيف المقال: «ان البرجوازيّة تساند الحركة الثورية للشعب بهدف استخلاص الفائدة لوحدها من ثمار الثّورة وافتكاك السّلطة السياسية قصد اضطهاد الشّعب في بلدها الخاص. ان هذه المرحلة من الجبهة الوطنيّة الواسعة ليست ممكنة إلا حينما تكون البروليتاريا غير فاعلة كقوة مستقلة ومحددة وكقطب مضاد للبرجوازيّة الوطنيّة وحيث لا تزال البروليتاريا غير قادرة على توجيه نضال الجماهير الشعبية غير البرولتارية»[6].

وفعلا كانت الكاوتسكية ركيزة لنظريات مثل «الدّيمقراطيّة الوطنيّة» الخروتشوفية ومن قبلها «الدّيمقراطيّة الجديدة الماوية» وتطبيقاتها «العالميّة» الرجعية اللاحقة فيما سمي بنظرية العوالم الثلاث. القاسم المشترك بين كلّ هذه النّظريات هو القول بإمكانية حل المسألة الوطنيّة أو الكولونيالية في ظل الرّأسماليّة وبمعزل عن الثّورة البرولتارية. لقد شكل ذلك عودة قوية للنظريات الكاوتسكية عن الإمبرياليّة والى وجهات نظر الأمميّة الثّانية.

لقد كان نضال البلاشفة عالميا فبالإضافة إلى العوامل التّي ذكرناها والتّي ساعدت على تفشّي التّحريفيّة على نطاق عالمي، فقد كان لكتابات ماو التّحريفيّة بعض التّأثير في أوروبا الشّرقيّة وقد تطوّر هذا النّضال ضدّ الانحراف اليميني في مسألة الدّولة ليصبح سافرا ويؤدي في إحدى حلقاته

---

[5] «النّظرية السّتالينية في الثّورة الكولونياليّة والحركة التحررية الوطنيّة في إفريقيا الجنوبية والاستوائية»، سوفشكايا اتنوغرافيا، عدد 1، 1950

[6] نفس المصدر السّابق

الأولى إلى طرد التيتويين المكشوفين في صلب الحركة الشّيوعيّة العالميّة لا فقط في يوغسلافيا بل في عديد البلدان. لقد كان ماو على حقّ عندما صرح بأن ستالين يعتبره «من طراز تيتو». ولا شك أن محاولات ماو للتّخفي سنوات 1951 و1952 و1953 قد فشلت وأن ستالين كان يستعد لمواجهته بوصفه من طراز تيتو. لهذا السّبب رحّب ماو والحزب الشّيوعي الصّيني بهجومات خروتشوف ضدّ ستالين في المؤتمر العشرين.

تقول اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي للاتّحاد السّوفييتي في هجومها على التّحريفيّين اليوغسلاف: «إن روح سياسة الصّراع الطبقي لا يمكن ملاحظتها بعدُ في الحزب الشّيوعي اليوغسلافي. تتطوّر العناصر الرّأسماليّة في المدن والأرياف ولا يتّخذ قادة الحزب أيّة إجراءات لمراقبة العناصر الرّأسماليّة... إن إنكار تنامي قوة العناصر الرّأسماليّة من طرف هؤلاء الرّفاق وتبعا لذلك، احتداد صراع الطبقات في الأرياف في ظل الظروف الحاليّة ليوغسلافيا، ناتج عن إدّعاء انتهازي يقول بأنه خلال المرحلة الانتقاليّة بين الرّأسماليّة والاشتراكيّة، لا تحتدّ التّناقضات الطبقيّة كما تعلمنا الماركسيّة اللينينيّة، وإنما تخفت كما يدّعي الانتهازيون من طراز بوخارين الذّي كان يراهن على نظرية رجعيّة حول العناصر السّلمية في نظام اشتراكي»[7].

لقد استغل ماوتسي تونغ مجازر الكيومينتانغ وتشان كاي تشيك ضدّ الحزب الشّيوعي الصّيني خاصة في المدن وإضعاف قواعده العمالية وكذلك انشغال ستالين والكومنترن بتحضير التّصدي العالمي للفاشيّة والنازيّة وقام وجماعته باغتصاب السّلطة في الحزب بطريقة غير شرعيّة وبالاعتماد على الجيش في جانفي 1935 في كونفرنس تسون-يي. أطاح ماو بالقيادة البُلشفيّة للحزب التّي ركزها الكومنترن والشّيوعيّون الصّينيّون ضدّ الانحرافات الانتهازيّة اليمينيّة وشبه التروتسكية في 1931. إن السّيطرة غير الشّرعيّة والمسلّحة على السّلطة في الحزب من طرف ماو لم يعترف بها الكومنترن أبدا، كما لم يؤيّد الكومنترن ولم تعلّق الصّحافة السّوفييتيّة أبدا حتّى وفاة ستالين على أي من انتقادات ماو لما يسميه «28 بُلشفي».

---

[7] رسالة اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي السّوفييتي إلى اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي اليوغسلافي، 4 ماي 1948، ترجمتنا

يقول ماو بهذا الخصوص: «لقد دام خط وانغ مينغ أطول فترة. لقد شكل كتلة في موسكو ونظم 28 بلشفيا. وبالاعتماد على قوّة الأمميّة الثّالثة سيطروا على السّلطة في الحزب واحتفظوا بها طيلة أربع سنوات كاملة»[8].

ويعترف ماو بتصفيته للخط البُلشفي داخل الحزب الشّيوعي الصّيني بعبارات في غاية الوضوح: «وفي تاريخ الحزب الشّيوعي الصّيني، من عام 1931 إلى عام 1934، كان أصحاب نزعة الجمود العقائدي ينكرون خصائص الصّين، وينسخون تجربة ما عن الثّورة الروسية: مما أدى إلى حلول هزيمة خطيرة بالقوى الثّورية في البلاد. وقد كانت هذه الهزيمة كبيرة لحزبنا. وفي المرحلة الواقعة بين الجلسة الموسعة التّي عقدها المكتب السّياسي للجنة المركزية في تسوني عام 1935 وبين المؤتمر الوطني السّابع الذّي انعقد في عام 1945، قضى حزبنا قضاء تاما على نهج الجمود العقائدي هذا الذّي سبّب ضررا كبيرا»[9].

ويقول ماو مؤكّدا ضمنيّا عدم اعتراف الكومنترن بانقلابه والتزامها الصمت في تلك الفترة: «ومنذ المؤتمر العالمي السابع في عام 1935 ما عادت الأمميّة الشّيوعيّة تتدخّل في المشكلات الداخليّة للحزب الشّيوعي الصّيني»[10].

إن قراءة ماو لمسألة «صراع الخطوط» داخل الحزب الشّيوعي الصّيني المضمنة في وثيقة «قرار حول بعض المسائل المتعلّقة بتاريخ الحزب» المصادق عليها في 20 أفريل 1945 من طرف اللجنة المركزية الموسّعة قبيل المؤتمر السّابع للحزب، لم تنشر أبدا قبل فيفري 1953 أي شهرا قبل اغتيال ستالين، في المجلد الثالث الذّي تضمن لأوّل مرّة أيضا تقرير ماو للمؤتمر السّابع تحت عنوان «حول الحكومة الائتلافية» والكتابات التّي جسّدت الحملة التّي قادها ماو لتصفية البلاشفة

---

[8] حول مسألة ستالين، 10 مارس 1958، في كتاب خطابات الرئيس ماو، ص 101، طبعة ستيوارت شرام

[9] من جديد حول التّجربة التاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا، هيئة تحرير الجريدة الصّينيّة جين مين جهباو، 29 ديسمبر 1956

[10] خطاب ماو تسي تونغ في 26 أيار 1943، أمام ملاكات الحزب الشّيوعي الصّيني لتفسير قرار حل الأمميّة الشّيوعيّة

الصّينيّين تحت شعار «ضدّ الدغمائية» و«فلنصلح دراستنا» وهي بالضّبط الشّعارات التّي رفعتها العصابة الخروتشوفية لسحق البلاشفة في الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي.

تركّزت سيطرة ماوتسي تونغ على الحزب الشّيوعي الصّيني بصورة كبيرة في المؤتمر السّابع حيث طرح لأوّل مرة مفهوم «فكر ماوتسي تونغ». لم يعترف الاتّحاد السّوفييتي بذلك أبدا قبل وفاة ستالين والصحافة السّوفييتيّة لم تعلّق أدنى تعليق حول انعقاد هذا المؤتمر.

لم يدعّم ستالين المؤتمر السّابع لأنّه يشكّل انتصارا تحريفيا داخل الحزب الشّيوعي الصّيني لا يختلف في جوهره عن التيتوية وغيرها من أشكال التّحريفيّة المعاصرة التّي تفشّت بعد الحرب العالميّة الثّانية. ويعترف ماو بذلك حيث يصرح في 1956 «لقد ارتكب ستالين عددا معيّنا من الأخطاء بحقّ الصّين، فمغامرة وانغ مينغ «اليساريّة» في أواخر مرحلة الحرب الأهلية الثّوريّة الثّانية وانتهازيّة وانغ مينغ اليمينيّة في أوائل حرب المقاومة ضدّ اليابان كلتاهما ترجعان إلى ستالين. خلال مرحلة حرب التّحرير، لم يسمح لنا في البداية بالثّورة معتقدا بأن الأمّة الصّينيّة ستتعرّض لخطر الدّمار إن قامت حرب أهليّة. ولما قامت الحرب كان ينظر لنا بعين الشّك. وعندما انتصرنا في الحرب كان يرتاب في أن انتصارنا انتصار من الطّراز التّيتوي وكانت ضغوطه علينا شديدة في عامي 1949 و1950.[11]»

هذه «الضّغوط الشّديدة» من ستالين والتّي تعرّضنا إلى بعضها أعلاه، أجبرت ماو على التّخفي واستباق إمكانيّة فضحه وطرده من الحركة الشّيوعيّة العالميّة مثلما وقع الأمر مع تيتو والحزب الشّيوعي اليوغسلافي، فقام بإدخال تعديلات جوهرية على كتاباته بمناسبة إصدار المؤلفات المختارة سنة 1951 بحيث أضيفت إليها بصورة ممنهجة عبارات «بقيادة البروليتاريا» و«بقيادة الحزب الشيوعي» وأزيلت منها مقاطع بأكملها وعديد الجمل المتعلقة بالدور القيادي للفلاحين في الثّورة وتمجيد البرجوازيّة الوطنيّة...الخ.[12]

---

[11] «حول العلاقات العشر الكبرى»، خطاب ماو في الاجتماع الموسّع للمكتب السّياسي للجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي الصّيني، 25 نيسان 1956

[12] للاطلاع على تفاصيل هذا التزييف نحيل القارئ إلى دراسة معمقة قامت بها منظمة الاتّحاد البُلشفي الكندية، ونشرت في العدد 15 من مجلتها «خطوط التمايز» عام 1980

يقول ستيوارت شرام وهو أحد الأكاديميين البرجوازيين المختصين في ترجمة ونشر كتابات ماو «لقد خضعت النصوص المضمنة في الأعمال المختارة إلى تغييرات كثيرة وعميقة من طرف الكاتب بحيث لا يمكننا أن نؤكد، ولو بالنّسبة لجملة بسيطة، مطابقتها لما كان ماو قد كتبه فعلا دون التثبت بالرجوع إلى النسخة الأصلية».

ومن الصعب علينا نحن طبعا أن نفهم كيف انتقل ماو من تكتيك التخفي وتنقيح كتاباته لـ«تفادي» «الضّغوط الشّديدة» التّي مارسها عليه ستالين إلى الهجوم المكشوف على ستالين والأمميّة الثالثة في فيفري 1953 لو لم يكن يعلم مسبقا أنّ ستالين سيكون بعد شهر في وضع لا يستطيع فيه محاربته بوصفه تيتوي. خاصّة وأن ذلك الهجوم المباشر على ستالين والكومنترن حصل في توقيت مرتبط بتواجد بولغانين على رأس وفد سوفييتي في سفارة الصّين في فيفري 1953. وهذا الرجل نفسه، بولغانين، سنجده ضمن وفد سيذهب إلى الصّين يضم أيضا خروتشوف ومكويان في 1954. وقد أسّست هذه الزّيارة للتّحالف الأولي بين ماو والتّحريفيّين السّوفييتيين. هذا التحالف الذّي كسب منه خروتشوف دعم ماو في الهجوم على ستالين وتصفية القيادة البُلشفيّة في الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي مقابل الدّعم المادي والعلمي للصّين وبالخصوص الوعد بتقديم المساعدة النّووية. كلّ ذلك يدفعنا إلى التّساؤل حول مدى انضمام ماو تسي تونغ بصفة نشيطة إلى مؤامرة اغتيال ستالين وتصفية القيادة البُلشفيّة في الاتّحاد السّوفييتي ؟

مهما يكن من أمر، فالأكيد أنّه قدّم التّبرير السّياسي لاغتيال ستالين. يقول الحزب الشّيوعي الصّيني: «إن بعض أخطاء ستالين قد تحوّلت في آخر مرحلة من حياته إلى أخطاء خطيرة طويلة الأمد وعلى صعيد الدولة، ولم يكن من الممكن إصلاحها في الوقت اللازم لأنه كان قد انقطع عن الجماهير والجماعة إلى حد ما وبقدر ما، وكان قد انتهك مبادئ المركزية الدّيمقراطيّة في الحزب والدولة»[13].

انتشرت التّحريفيّة المعاصرة بعد الحرب العالميّة الثّانية في الاتّحاد السّوفييتي أيضا وداخل الحزب البُلشفي. كان ستالين يعي تماما أنّ الانشغال بالحرب الوطنيّة الكبرى ضدّ النازيّة والخسائر

[13] من جديد حول التّجربة التاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا، هيئة تحرير الجريدة الصّينيّة «جين مين جهباو»

الكبرى في كوادر الحزب البُلشفي ثم المجهودات الجبارة التّي بذلت لإعادة البناء في زمن قياسي ونشوة الانتصارات المتلاحقة والنشاطات والمناورات الدّبلوماسيّة مع الدول الإمبرياليّة وتطوّر العلاقات معها، كلها عوامل أضعفت جاهزيّة الحزب الإيديولوجيّة والسّياسيّة للتّصدّي للانحرافات اليمينيّة وخلقت مناخا عامّا من التّراخي وضعف اليقظة إزاء أعمال التّخريب والمؤامرات الإمبرياليّة.

نشر الرفيق ستالين «القضايا الاقتصاديّة للاشتراكيّة» في أكتوبر 1952 قبيل المؤتمر التّاسع عشر للحزب البُلشفي وكان الأساس لبدء حملة واسعة من طرف ستالين والبلاشفة ضدّ التّحريفيّة المعاصرة التّي برزت على نطاق واسع في الحزب وفي الحركة الشّيوعيّة العالميّة. فقد كان ماو وتيتو وغيرهم في المعسكر الاشتراكي يريدون نفي القوانين الاقتصاديّة الموضوعيّة للاشتراكيّة وكانت لهم وجهة نظر مناقضة تماما لوجهة نظر البلاشفة، وجهة نظر قوميّة «للاشتراكيّة» تجعل من قانون القيمة قانونا مطلقا في «اشتراكيّتهم».

في هذا المؤلف تصدّى ستالين أيضا، قبل أشهر من وفاته، بوضوح لتفشّي الأوهام التّحريفيّة حول التّعايش السّلمي مع الإمبرياليّة وإمكانيّة انتفاء الحروب في عصر الإمبرياليّة. يقول: «للقضاء على الطابع الحتمي للحروب يجب تحطيم الإمبرياليّة». وبيّن ستالين كيف أن «النّتيجة الاقتصاديّة الأكثر أهميّة بعد الحرب العالميّة الثّانية وتبعاتها على الاقتصاد كانت تفكّك السّوق العالميّة الموحّدة والشّاملة. هذا تسبّب لاحقا في تعمّق الأزمة العامّة للنّظام الرّأسمالي». هذا التفكّك يزيد من المنافسة بين الإمبرياليّين بفعل تقلص السّوق الرّأسماليّة العالميّة مما يجعل الحروب فيما بينهم حتميّة. هذا التفكّك يزيد أيضا من عدوانيتهم تجاه بلدان المعسكر الاشتراكي ويضاعف بشكل كبير من محاولاتهم لإعادة الرّأسماليّة. كان ستالين يستشهد دوما بهذا المقطع للينين «لا يمكن تصوّر أنّ الجمهوريّة السّوفييتيّة بإمكانها مواصلة التّعايش لمدّة طويلة جنبا إلى جنب مع الدّول الإمبرياليّة. إمّا هذا أو ذاك سينتصر في النّهاية. وإلى ذلك الحين من الحتمي أن نشهد صدامات رهيبة بين الجمهوريّة السّوفييتيّة والدّول البرجوازيّة»[14]

[14] ورد في: ستالين: «حول الانتصار النهائي للاشتراكيّة في الاتّحاد السّوفييتي»، 1938.

وفي خطاب[15] ألقاه في الاجتماع الموسّع للجنة المركزية للحزب البُلشفي في 16 تشرين الأول سنة 1952 نشرته لأوّل مرة جريدة غلاسنوست الرّوسية بمناسبة الذكرى المائة والعشرين لميلاده، طرح ستالين مسائل جوهريّة تهمّ تطوير دور الحزب وكفاءة القادة في التّضال ضدّ الانتهازيّة. كان ستالين في هذا الخطاب ذي الأهميّة التاريخيّة مدركا تماما للمخاطر التّي تتهدّد الحزب البُلشفي والدّولة السّوفييتيّة وقد عبّر صراحة عن تفشّي الانتهازيّة وغياب الوحدة داخل الحزب. يقول ستالين في هذا الخطاب بمرارة واضحة: «لقد عقدنا مؤتمر حزبنا. ومرّ ذلك بصورة جيّدة جدّا، وقد يعتقد الكثير منكم أن الانسجام التّام والوحدة تسود بيننا. ولكننا لا نمتلك هذا الانسجام وهذه الوحدة في الفكر. فبعضكم حتّى يعارض ولا يحب قراراتنا»[16].

واضعا بكل وضوح الهدف الأسمى المتمثل في بناء الشّيوعيّة، طرح ستالين في هذا الخطاب مسألة تشبيب قيادة الحزب وضرورة تربية كوادر أكثر كفاءة «يستطيعون تمييز كافة أنواع الميول الانتهازيّة والتّضال ضدها». يقول الرفيق ستالين: «يجب أن نفكّر في أيدي من سنسلّم مشعل مشروعنا العظيم، من سيحمله إلى الأمام ليبلغ هدف الشّيوعيّة؟ نحتاج لهذا إلى شخصيات شابّة تتحلّى بالمزيد من الطاقة، إلى رفاق وقادة سياسيّين يكرّسون أنفسهم لذلك. وما معنى أن نربي قائدا مكرّسا حياته ومخلصا للدّولة؟ نحتاج إلى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما لكي نتمكّن من إنشاء قائد للدّولة قادر على حمل هذا المشعل.

ولكن مجرّد الرّغبة في حدوث ذلك لا يكفي. لكي نربي كوادر جديدة كهذه نحتاج إلى الوقت والى مساهمتهم في عملية الحكم اليوميّة للدّولة، أن يتعلّموا في الأمور التطبيقية التّي تشمل كامل سلسلة جهاز وخطط الدّولة وجهازها الفكري لكي يواصلوا رفع بناء المجتمع الاشتراكي إلى مستويات أعلى وأن على الرّفاق أن يستطيعوا تمييز كافة أنواع الميول الانتهازيّة والتّضال ضدّها. على الرّفيق أن يكون عاملا لينينيا، يعلمه حزبنا تاريخه وتكتيكه وخططه ومستقبل الاتّحاد السّوفييتي كما تصوّرها لينين»[17].

---

[15] ترجمه إلى العربية حسقيل قوجمان عن مجلة Northstar Compass عدد نيسان 2000

[16] جريدة «غلاسنوست»، 16 تشرين الأول 1952

[17] المرجع السّابق

ويهاجم ستالين بعض الانحرافات الخطيرة التّي تمس نظام دكتاتوريّة البروليتاريا وتدفع نحو تفسّخه إلى نظام الدّيمقراطيّة البرجوازيّة، هذه الانحرافات طالت حتّى قادة كبارا مثل مولوتوف. يقول ستالين: «الرفيق مولوتوف هو أكثر الرّفاق تكريسا لقضيتنا. أنّه مستعد أن يقدم حياته لقضية الحزب. ولكننا لا يمكن أن نتغاضى عن ضعفه في بعض جوانب عمله. إنّ الرّفيق مولوتوف باعتباره وزيرنا للشّؤون الخارجيّة، واجدا نفسه في خضمّ استقبال ديبلوماسي «زلق»، قدّم ضمانا إلى دبلوماسي بريطاني بأنّ الرّأسماليّين يمكنهم أن يبدؤوا نشر صحف برجوازيّة في بلادنا. لماذا؟ هل كان هذا هو المكان لإعطاء مثل هذا الضّمان بدون علم اللجنة المركزيّة للحزب؟ أليس من الواضح الجلّي أنّ البرجوازيّة هي عدوّنا الطبقي وأن ترويج الصّحف البرجوازيّة بين أشخاص حزبنا إضافة إلى تسبّب الأضرار لن يقدّم لنا أيّة فوائد؟ لو سمح لهذا أن يحدث لكان بإمكاننا أن نتوقّع ظروفا حيث تبدأ الهجومات ضدّ الاشتراكيّة وضدّ الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي، برقّة في البداية ثم بشكل مفضوح. هذا هو الخطأ السّياسي الأول للرفيق مولوتوف»[18].

وشملت الانحرافات التّي فضحها ستالين في هذا الخطاب مسألة السّياسة البُلشفيّة تجاه القوميّات في إطار اتّحاد الجمهوريات السّوفييتيّة. يقول ستالين منتقدا مولوتوف: «وماذا عن اقتراح مولوتوف الخاطئ بإعطاء القرم لليهود السّوفييتيّين؟ أنّه خطأ فاضح للرفيق مولوتوف. لماذا جاء مثل هذا الاقتراح أساسا؟ على أي أساس قدم الرفيق مولوتوف هذا الاقتراح؟ لدينا جمهورية يهودية ذات استقلال ذاتي. فأية حاجة أخرى نحتاج إليها؟ توجد أقليات قومية عديدة أخرى لها الآن مناطقها المستقلة ذاتيا وكذلك جمهوريات مستقلة ذاتيا. أليس هذا كافيا الآن؟ أو هل هذا يعني عدم الثقة بالدستور السّوفييتي للاتّحاد السّوفييتي وسياسته حول القوميات؟»[19]

كما تعرض ستالين في هذا الخطاب الهام إلى انحرافات ميكويان في مجال السّياسة نحو الفلاحين وكيف «أنه قطعيا ضدّ أي ضريبة تفرض على الفلاحين ولذلك فهو يناضل ضدها» ويعتبره «تائها» يحاول جر اللجنة المركزية معه في ضياعه.[20]

---

[18] المرجع السّابق

[19] المرجع السّابق

[20] المرجع السّابق

# 2. اغتيال ستالين

بعد فشل الإمبرياليّين في تحطيم الاشتراكيّة عن طريق الحرب العالميّة الثّانية بل وخسارتهم لجزء كبير من السّوق العالميّة الذّي انضمّ إلى المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتّحاد السّوفييتي، أصبحوا يخشون خوض حرب أخرى مع هذا الأخير لأنّه كما قال ستالين في «القضايا الاقتصاديّة للاشتراكيّة»: «إنّ الحرب ضدّ الاتّحاد السّوفييتي بلد الاشتراكيّة أكثر خطورة على الرّأسماليّة من الحرب فيما بين البلدان الرّأسماليّة لأنّه إذا كانت الحرب بين البلدان الرّأسماليّة تطرح مسألة سيطرة بعض البلدان الرّأسماليّة على البعض الآخر، فإن الحرب ضدّ الاتّحاد السّوفييتي يجب أن تطرح بالضّرورة مسألة بقاء الرّأسماليّة نفسها». دفع ذلك الإمبرياليّين وخاصة الإنجليز (وعلى رأسهم تشرشل الذّي قاد حملة تحريض عالميّة ضدّ الاتّحاد السّوفييتي حتّى بعد تنحيته عن رئاسة الوزراء) والأمريكان (بقيادة ترومان الذّي خلف روزفلت) إلى تنظيم وتمويل حملة واسعة للتّخريب والتّجسّس للقضاء على الاشتراكيّة بالاعتماد على وكلاء داخليين من بعض العناصر المتفسّخة والعناصر الواقعة تحت تأثير الدّعاية البرجوازيّة.

في 13 جانفي 1953 أعلنت صحيفة البرافدا عن كشف «مجموعة إرهابية من الأطباء كانوا يهدفون إلى قتل شخصيّات عامّة نشيطة في الاتّحاد السّوفييتي عن طريق إفساد العلاج الطبي» وذكرت الصّحيفة أنّ هؤلاء الأطباء القتلة قد اعترفوا بقتلهم جدانوف وشرباتوف وبأنّهم «حاولوا جاهدين تخريب صحّة موظفي القيادة العسكرية السّوفييتيّة وتصفيتهم قصد إضعاف دفاعات البلد». وأعلن لاحقا أن هؤلاء القتلة وقع توظيفهم بالأجر من قبل المخابرات البريطانيّة ومنظمة صهيونيّة تشتغل كواجهة للمخابرات الأمريكية.

وتفضح البرافدا في افتتاحيتها في نفس العدد هذه المؤامرة بوصفها تندرج ضمن حملة إمبرياليّة عالميّة تهدف إلى القضاء على الاتّحاد السّوفييتي والمعسكر الاشتراكي من الدّاخل. تقول البرافدا «في حمى تحضيرهم لحرب عالميّة جديدة يرسلون بصفة متزايدة الجواسيس إلى الاتّحاد السّوفييتي وإلى الديمقراطيّات الشّعبيّة محاولين خلق طابور خامس مخرّب في الاتّحاد السّوفييتي. يكفي أن نتذكر تخصيص الحكومة الأمريكية بصورة علنيّة فاضحة لـ100.000.000 دولار للإرهاب وأعمال

التّخريب والتّدمير في بلدان المعسكر الاشتراكي هذا فضلا عن مئات الملايين من الدولارات التّي تصرف سرّا لنفس الهدف».[21]

تذكر البرافدا بالموقف السّتاليني قائلة «لقد حذرنا الرّفيق ستالين مرارا من أن نجاحاتنا لها جانبها السّلبي لأنّها تؤدّي لدى العديد من قادتنا الرّسميّين إلى حالة من التّراخي والرّضا عن النّفس.... إن العلاقات الاشتراكية راسخة دون انقسام أو تذبذب والاتّحاد السّوفييتي حقّق نصرا تاريخيا في الحرب الوطنيّة العظمى. النتائج المدمّرة للحرب وقع تحويلها إلى نقيضها في ظرف زمني قياسي ولنا انجازات في جميع قطاعات النّشاط الاقتصادي والثّقافي. بعض الأشخاص يستنتجون من هذه الوقائع أن خطر التّخريب قد ولّى وأنّ أسياد العالم الرّأسمالي يمكنهم العدول عن محاولاتهم توجيه نشاطهم التّدميري ضدّ الاتّحاد السّوفييتي.

ولكن وحدهم الانتهازيون اليمينيون، أولئك الذّين يتبنون موقفا معاديا للماركسيّة مفاده أن الحرب «ستتلاشى»، يمكنهم التفكير والتحليل بهذه الطريقة. إنهم لا يدركون أو لا يريدون أن يدركوا أن نجاحاتنا تؤدي لا إلى تخفيف حدة الصّراع بل إلى احتداده وأن بقدر ما يكون تقدمنا مظفّرا بقدر ما ستكون مقاومة أعداء الشّعب اليائسين المفلسين أكثر حدّة. هذا ما علمنا إياه الخالد لينين، هذا ما علمنا إياه الرفيق ستالين».

خلال تلك الفترة بعد كشف مؤامرة الأطباء وحتى وفاة ستالين، وقع شن حملة متصاعدة ضدّ «الانتهازيّين اليمينيّين» الذّين يعملون على إضعاف يقظة الشّعب السّوفييتي والانتقاص من خطورة أعمال الجوسسة والتّخريب التّي تنظمها الدوائر الإمبرياليّة. ومما لا شك فيه أن تلك الحملة كانت ستتوج بحملة تطهير كبرى ضدّ التّحريفيّين داخل الحزب البُلشفي (كانت عبارات البرافدا المشار إليها واضحة جدّا) ولكن كلّ ذلك توقف بـ«موت» ستالين.

مباشرة بعد وفاة ستالين في 28 مارس 1953 يصرّح مجلس رئاسة السّوفييت الأعلى بأنّ «احترام القانون والنّظام الاشتراكي قد تعاظم وبأن عدد الجرائم قد نقص في بلادنا». وعلى أساس

[21] البرافدا، 13 جانفي 1953

ذلك وقع إطلاق سراح جميع المخربين والجواسيس والعناصر المتفسّخة والتّحريفيّين الذّين كشفتهم دكتاتوريّة البروليتاريا وشلّت حركتهم.

وفي 3 أفريل 1953 أعلن التّحريفيّون أن القضيّة ضدّ الأطباء القتلة كانت مفبركة ووقعت بالتّالي إعادة الاعتبار لهم. ويضيف التّحريفيّون أن «الأشخاص المتّهمين بإدارة التّحقيق بطريقة غير صحيحة وقع إلقاء القبض عليهم ووجهت لهم المسؤوليّة الجنائيّة».[22]

ولتبرير إنكارهم لمؤامرة الأطباء يقول التّحريفيّون: «لقد وقعت تصفية الطبقات المستغِلّة في الاتّحاد السّوفييتي وبالتّالي لا يمكن للقوى الرجعيّة الخارجيّة أن يكون لها سندا اجتماعيا هاما داخل الاتّحاد السّوفييتي للقيام بمحاولاتهم التّخريبية ضدّ الدولة السّوفييتيّة»[23]. ومن الواضح أن ذلك يشكّل خيانة كاملة للتّضال من أجل الدّفاع عن الاشتراكيّة واستسلاما للإمبرياليّة. كما أن ذلك لا يعتبر تصفية للسّتالينية فحسب بل تصفية لشخص ستالين نفسه، فقد سبق أن وقع الإعلان، في حياة ستالين، أن هذا الأخير هو الذّي أطلق التّحقيق في مؤامرة الأطباء القتلة على إثر تلقيه رسالة من طبيب كان على علم بها. لنستمع إلى هذا التصريح: «تحرص الحكومة السّوفييتيّة على الدفاع عن حقوق مواطني بلدنا وتدافع بعناية عن تلك الحقوق وتعاقب دون رحمة ودون مراعاة للأشخاص أو المناصب أولئك الذّين يسمحون بأعمال تعسفية...لا يسمح لأحد بخرق القانون السّوفييتي».[24]

يعترف خروتشوف لاحقا في «خطابه السرّي» في المؤتمر العشرين بهذه الجريمة ويقرّ بأنّ تصفية ستالين كانت ضروريّة من أجل إلغاء التحقيق حول مؤامرة الأطباء. يقول: «كان يعطي

---

[22] البرافدا، 3 أفريل 1953

[23] المرجع السّابق

[24] المرجع السّابق

الأوامر بالقبض على مجموعة من خيرة المختصّين الطبّيّين السّوفييتيين. كان يعطي بنفسه التّوجيهات حول إدارة التّحقيق وطريقة التّحقيق مع الأشخاص الموقوفين»[25]

ويضيف أن «ستالين كان يوزع التعليمات ضدّ الأطباء في المكتب السّياسي ويقول: أنتم عميان مثل القطط الرضيعة، ماذا كان سيحدث بدوني؟ سيهلك البلد لأنكم عاجزون عن التعرف على الأعداء»[26]. ويقول لنا خروتشوف بعد ذلك أنّه «لما قمنا بفحص هذه القضية بعد موت ستالين اكتشفنا أنها مفبركة من البداية إلى النهاية. لقد وقعت حياكة «القصة» الخسيسة من طرف ستالين نفسه لكنه لم يتمكن من الوقت اللازم للوصول بها إلى خاتمتها»[27]. طبعا فقد وقع اغتياله من طرف خروتشوف وحثالة التّحريفيّين الذّين معه قبل أن يكشف كافة خيوط المؤامرة ويطهر الحزب من الخونة والمرتدّين.

ولم يخجل خروتشوف من التصريح أمام المؤتمر العشرين بأن «حياة ستالين أصبحت عقبة جدية في طريق التطوّر السّوفييتي». ويقدم التبرير لعملية اغتيال ستالين: «في الاجتماع الموسع للجنة المركزية بعد المؤتمر التاسع عشر هاجم ستالين مولوتوف وميكويان... لو كان ستالين قد بقي أو ما زال يحكم لبضعة أشهر أخرى، لكان من المحتمل أن لا يلقيا خطابهما في هذا المؤتمر. كان لستالين بدون شك خططا للقضاء على الأعضاء القدامى للمكتب السياسي.»[28]

ونحن نريد الآن أن نقول بكل وضوح لأولئك الذّين ساندوا المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي بأنهم ساندوا اغتيال ستالين وساندوا تصفية البُلشفيّة والماركسيّة اللينينيّة.

---

[25] التّقرير السرّي لخروتشوف، ورد في: «الحملة المعادية لستالين والشّيوعيّة العالميّة»، صحافة جامعة كولومبيا، ص 2، 1956

[26] المصدر السّابق

[27] المصدر السّابق، ص 64-65

[28] المصدر السّابق، ص 84

# 3. بدء الهجوم على البُلشفيّة مباشرة بعد اغتيال ستالين

لقد بدأ الهجوم على البُلشفيّة مباشرة بعد اغتيال ستالين. فبعد بضعة أيام من جنازة ستالين صدرت الموسوعة السّوفييتيّة وقد حذفت بشكل لا يخفى على أحد كلّ إشارة إلى الستالينية. وفي جويلية 1953 أصدر الحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي بيان خيانة صريح نشر بصورة واسعة في الصحافة السّوفييتيّة والبرجوازيّة لم تكن أبعاده لتخفى على الحزب الشّيوعي الصّيني وحزب العمل الألباني، وذلك بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب جاء فيه: «من الضروري القضاء على التّركيز الخاطئ على دور الفرد المنافي للماركسيّة والذّي برز في تفشّي النّظرية المثاليّة لعبادة الفرد التّي هي غريبة عن الماركسيّة اللينينيّة. إن عبادة الفرد تناقض مبدأ القيادة الجماعيّة وتنقص من دور الحزب ومركزه القائد، تنقص من النّشاط الخلّاق لجماهير الحزب والشّعب السّوفييتي ولا علاقة لها بالفهم الماركسي اللينيني لأهميّة النّشاط القيادي للهياكل القياديّة والشّخصيّات القياديّة».[29]

وهاجم التّحريفيّون في هذا البيان الستالينية ملصقين بها نعت الدغمائية: «إنّه من الضروري اليوم أكثر من أي وقت مضى القضاء على الفهم التّلمودي الدغمائي للنظرية الماركسيّة اللينينيّة. اعتمادا على المقولة القائلة بأن النّظرية الماركسيّة اللينينيّة ليست عقيدة بل مرشد للعمل، يطلب الحزب من جميع أعضائه فهم الطابع الخلاق للماركسيّة اللينينيّة...»[30]

---

[29] «الذكرى الخمسين لميلاد الحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي (1903-1953)»، هيئة الدّعاية والتّحريض للجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي ومعهد ماركس-أنجلس-لينين-ستالين، ترجمتنا

[30] المصدر السّابق

ولا يحتاج الأمر إلى عميق بحث للتعرف على النوايا الحقيقية للتحريفيين من وراء الهجوم على «عبادة الفرد» و«الفهم التلمودي» للماركسيّة اللينينيّة في هذا البيان. ولم تكن تلك النوايا لتخفى، بكل تأكيد، عن «زعيمين» مثل ماوتسي تونغ وأنور خوجة. يواصل البيان كاشفا تلك النوايا الخائنة: «في دائرة السّياسة الخارجيّة، سيواصل الحزب في المستقبل أيضا وبصفة دائمة سياسة المحافظة على السّلم وتدعيمه، وسياسة التّعاون مع جميع البلدان وتطوير علاقات عمل معها على قاعدة مبادئ احترام المصالح المشتركة».

يشكل هذا التصريح تخليا سافرا على السّياسات السّتالينية التّي صاغها ستالين في «القضايا الاقتصاديّة للاشتراكيّة في الاتّحاد السّوفييتي» حيث يقول «للقضاء على الطابع الحتمي للحروب يجب القضاء على الإمبرياليّة»، وتعويضها بسياسة التّعاون و«تطوير علاقات عمل» للمحافظة على السّلم.

وفي نفس هذا البيان يصوغ التّحريفيّون نظريتهم المعادية للينينيّة حول التّعايش السّلمي: «في كلّ سياسته الخارجيّة، يسترشد حزبنا بوجهة النّظر اللينينيّة حول إمكانية تعايش طويل وتنافس سلمي بين النّظامين». لنرى كيف يحرّف هؤلاء الخونة اللينينيّة، لنستمع إلى هذه الأقوال للينين التّي كثيرا ما استشهد بها ستالين: «من غير المنطقي أن تتمكن الجمهوريّة السّوفييتيّة من مواصلة التّعايش جنبا إلى جنب مع الدّول الإمبرياليّة. لا بدّ لأحدهما من الانتصار على الآخر. والى ذلك الحين، من الحتمي أن نشهد صدامات رهيبة بين الجمهوريّة السّوفييتيّة والدّول البرجوازيّة»[31]

وفي ديسمبر 1953 وفي مقال يتعرض للمؤلفات المختارة لماو تسي تونغ يصرح التّحريفيّون السّوفييتيين «مطوّرا اللينينيّة بطريقة خلّاقة، بين ماو تسي تونغ في مؤلفاته «الثّورة الصّينيّة والحزب الشّيوعي الصّيني» و«حول الدّيمقراطيّة الجديدة»، أن انتصار الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين تحت قيادة البروليتاريا يؤدي حتما إلى تركيز نظام ديمقراطي شعبي مع دكتاتوريّة «تحالف جميع القوى المعادية للإمبرياليّة والمعادية للإقطاعيّة بقيادة البروليتاريا».[32]

---

[31] ورد في: ستالين: «حول التصر النهائي للاشتراكية في الاتحاد السّوفييتي» فيفري 1938، الأعمال الكاملة، مجلد 14، ص 420، ترجمتنا

[32] (أ. مارتينوف، كرازنايا زفسدا، ديسمبر 1953

وهكذا ومنذ 1953، مباشرة بعد اغتيال ستالين شرع التّحريفيّون في تصفية الخط الثّوري والسّياسي البُلشفي السّتاليني وإعلان أطروحاتهم التّحريفيّة حول «عبادة الشّخصية» و«إمكانيّة تجنّب الحروب في ظل الإمبرياليّة» و«الانتقال السّلمي» و«التّعايش السّلمي» و«التّنافس السّلمي» بين المعسكرين. لم ينتظروا حتّى المؤتمر العشرين كما حاول «أبطال التّضال ضدّ التّحريفيّة المعاصرة» ماو وأنور خوجة إيهام الطبقة العاملة والشّعوب بذلك.

# 4. حول النضال المزعوم لماو تسي تونغ والحزب الشّيوعي الصّيني ضد التحريفية المعاصرة

عُرف ماو تسي تونغ على أنّه مدافع عن ستالين ضدّ هجومات خروتشوف وعلى أنّه متبنّي لسياسات ستالين ضدّ سياسات التّحريفيّين السّوفييتيين الذّين أعادوا الرّأسماليّة في الاتّحاد السّوفييتي. هذه الصورة وقع تشييدها وترويجها من طرف الحزب الشّيوعي الصّيني الذّي أظهر ماو على أنّه مواصل لعمل ماركس، أنجلس، لينين وستالين بل ومطوّرا أعمالهم «إلى مرحلة جديدة» في «حقبة جديدة» هي حقبة ما يسمى «فكر ماو تسي تونغ» وأن ستالين كان يدعم ماو تسي تونغ.

هذه الأسطورة يكذّبها التّاريخ الحقيقي للحزب الشّيوعي الصّيني والثّورة الصّينيّة. في الواقع لقد خاض ستالين نضالا عنيدا من أجل بَلشَفة الحزب الشّيوعي الصّيني ضدّ ماو وخطّه السّياسي، هذا النّضال بدأ منذ المراحل الأولى للثورة الصّينيّة ولم ينتهي إلا بعد وفاة ستالين (سنتناول هذا الموضوع في دراسة خاصة سننشرها لاحقا)

إنّه ماو نفسه الذّي يعتبر أن كلّ تطوّر الثّورة الصّينيّة كان مناقضا لخط ستالين والكومنترن. يقول الحزب الشّيوعي الصّيني: «منذ فترة بعيدة، قد مرّ الشّيوعيّون الصّينيّون في تجربتهم الشّخصيّة الخاصّة من بعض أخطاء ستالين. أُرْتُكبت أخطاء خطوط داخل الحزب الشّيوعي الصّيني، فقد كانت إمّا انتهازيّة «يسارية» أو يمينيّة. فيما يتعلّق بأسبابها العالميّة، أُرْتُكب البعض منها تحت تأثير بعض أخطاء ستالين. منذ نهاية العشرينات، ثم خلال الثلاثينات، وأخيرا في بداية وأواسط الأربعينات، عمل الماركسيّون اللينينيّون، والرّفاق ماوتسي تونغ وليو شاوشي

كممثيلهم، على محاصرة تأثير بعض أخطاء ستالين، ثم، بعد القضاء بالتدريج على الخطوط الخاطئة لكل من الانتهازيّة «اليساريّة» واليمينيّة، قادوا في النهاية الثّورة الصّينيّة إلى النّصر».[33]

ولم تنشأ تحريفية ماو ومعاداته للخط الشّيوعي البُلشفي في أواخر حياته كما يروج لذلك البعض، ولم تنشأ أيضا بعد وفاة الرفيق ستالين. لقد ظهرت تحريفية ماو وتطورت منذ بداية نشاطه السّياسي وكان هدفه الثّابت يتمثّل أولا في إزاحة وتصفية الخط اللينيني-الستاليني حول الثّورة الصّينيّة، ثم بعد ذلك في إزاحة وتصفية هذا الخط على المستوى العالمي وإحلال «فكر ماو تسي تونغ» محلّه.[34]

إن المطروح اليوم على جميع العناصر الشّيوعيّة الثورية القيام باختيار بين الماركسيّة اللينينيّة كما مارسها وطوّرها ستالين وطبقتها الأمميّة الثّالثة وبين «فكر ماو تسي تونغ». من جهته، ماو قام بالاختيار عندما أعلن صراحة أن ستالين والكومنترن، وبالتّالي ماركس وانجلز ولينين، كانا مخطئين، وأن طريق الثّورة العالميّة يعتمد على تبنّي «فكر ماو تسي تونغ».

لقد وقع اعتبار وصول الحزب الشّيوعي الصّيني إلى السّلطة في الصّين كنتيجة حصريّة لأعمال هذا الحزب تحت قيادة «فكر ماو تسي تونغ». مع تقديرنا العميق لدور ملايين العمال والفلاحين الصّينيّين الذّين ضحّوا بحياتهم من أجل انتصار الثّورة على الإمبرياليّة، نؤكد أن وصول الحزب الشّيوعي الصّيني إلى السّلطة كان، وإلى حدّ كبير، نتيجة انتصار الجبهة الثورية العالميّة بقيادة الاتّحاد السّوفييتي ضدّ الفاشيّة، جبهة كان الحزب الشّيوعي الصّيني جزءا منها، جبهة انتصرت على الفاشيّة وهيّأت الظّروف للثّورة الصّينيّة. كان ذلك نتيجة تنامي قوة المعسكر الاشتراكي بقيادة ستالين وإضعاف المعسكر الإمبريالي بفعل الضربات القاتلة التّي تلقتها الإمبرياليّة العالميّة بالقضاء على رأس حربتها الفاشيّة واقتطاع جزء كبير من العالم الرّأسمالي الإمبريالي والتحاقه بالمعسكر الاشتراكي والثّورة العالميّة.

---

[33] حول مسألة ستالين، الحزب الشّيوعي الصّيني، 1963

[34] سنتناول هذا الموضوع في دراسة خاصة سننشرها لاحقا.

بالإضافة إلى ذلك كان للعون المباشر الذّي قدّمه الاتّحاد السّوفييتي بقيادة ستالين دورا حاسما في انتصار الثّورة الصّينيّة. ففي أوت 1945، اجتاح الجيش الأحمر منشوريا لطرد الإمبرياليّين اليابانيين، هذه المقاطعة هي الأكثر تصنيعا في الصّين وذات أهمية استراتيجية بالغة. لما انسحب الاتّحاد السّوفييتي منها بعد استسلام اليابان، حرص على أن تؤول المقاطعة إلى سيطرة الحزب الشّيوعي الصّيني ومنع الكيومنتانغ من السيطرة عليها، وأمّن بذلك حصول جيش التّحرير الشّعبي على مخزون هائل من الذخائر اليابانيّة. وفي منشوريا وقع تركيز حكومة مؤقّتة دعمها الاتّحاد السّوفييتي عسكريا واقتصاديا، وقد منع الاتّحاد السّوفييتي قوات الكيومنتانغ من استخدام داين وبور آرثر للهجوم على القوات الثّورية. وانطلاقا من هذه القاعدة في منشوريا أجرى جيش التّحرير الشّعبي استعداداته لشنّ هجماته على قوات الكيومنتانغ في 1948 و1949 وتحقيق النّصر.

بعد موت ستالين مباشرة سارع التّحريفيّون السّوفييتيين إلى الحصول على دعم قيادة الحزب الشّيوعي الصّيني. ففي أكتوبر 1954 توجه بولغانين ومكويان وخروتشوف نفسه إلى بكين وحصلوا على دعم القيادة الصّينيّة مقابل صفقة تشمل بالخصوص انسحاب الاتّحاد السّوفييتي من بورت آرثر والتخلي عن أربع شركات مختلطة صينيّة-سوفييتية في مجالات التّعدين والبترول والطيران وبناء السّفن لصالح الصّين، وتقديم قروض إضافية للصّين بقيمة 130 مليون دولار وبناء سكة حديدية في الصّين. ولم يتأخر الدّعم الصّيني للتحريفيين السّوفييتيين من خلال مساندتهم للتّقارب مع تيتو في 1955 ومساندتهم لهجمات خروتشوف على ستالين وللأطروحات التّحريفيّة في المؤتمر العشرين.

ولكسب دعم الحزب الشّيوعي الصّيني لتصفية بقيّة القيادة البُلشفيّة ومولوتوف وما يسمى بـ«المجموعة المعادية للحزب» وعد خروتشوف بتمكين الصّين من السّلاح النّووي. وبالفعل، وقع إبرام اتفاقيّة لتمكين الصّين من السّلاح النّووي وإعطائها المخططات الضروريّة لصنعها وذلك سنة 1957 بعد أربعة أشهر من طرد مولوتوف. وبعد شهر من الاتفاقية يأتي ماو إلى الاتّحاد السّوفييتي في زيارة عرفان بالجميل ويعلن تصريحه الشّهير «ينبغي أن يكون للمعسكر الاشتراكي رأس وهذا الرأس هو الاتّحاد السّوفييتي.... ينبغي أن يكون للأحزاب الشّيوعيّة والعمالية لجميع البلدان رأس وهذا الرأس هو الحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي»

إن الخلافات بين القيادة الصّينيّة والتّحريفيّين السوفييت لم تكن تناقضا بين الماركسيّة اللينينيّة والتّحريفيّة بل تناقضا برجوازيا قوميا بين قوة عظمى وبين من يريد أن يصبح قوة عظمى. لقد كانت سياسات خروتشوف، خاصّة انطلاقا من 1959، المعادية لطموحات الصّين في أن تصبح قوة عظمى هي التّي أجبرت الصّين على التغلّف بالاشتراكيّة والسّتالينية و«محاربة» التّحريفيّة. ففي جوان 1959 ألغى خروتشوف الاتفاقيّة النّووية مع الصّين، وفي سبتمبر من نفس السّنة التقى ايزنهاور واتّفق معه على الحدّ من «طموحات الصّين». وتبعا لذلك طلب خروتشوف من القيادة الصّينيّة الاعتراف بوجود «صينيّتين» والقبول بسيطرة الولايات المتحدة على تايوان، كما رفض دعم مطالب الصّين حول جزر كوموي وماتسو. وكان له خاصّة موقف معارض للصّين في خلافاتها الحدوديّة مع الهند. وكرد فعل على ذلك رفع ماو والحزب الشّيوعي الصّيني من «سقف» التّضال ضدّ التّحريفيّة السّوفييتيّة دون أن يقطعا مع خروتشوف أو يواجهانه بوصفه عدوّا للشّيوعيّة.

ولم ينخرط الحزب الشّيوعي الصّيني فعليا في «التّضال» المزعوم ضدّ الخروتشوفية إلّا في سنة 1963 عندما أقام الاتّحاد السّوفييتي علاقات وثيقة مع كينيدي والإمبرياليّة الأمريكية، وعندما يئس من مساعدة السوفييت في الحصول على الأسلحة النّووية بعد أن أمضى هؤلاء اتفاقية منع انتشار الأسلحة النّووية. وحتى بعد الإطاحة بخروتشوف سارع قادة الحزب الشّيوعي الصّيني إلى زيارة الاتّحاد السّوفييتي لتقديم التهاني وطلب العون النّووي واقترح شو آن-لاي على بريجنيف تحقيق الوحدة من جديد. لكن بريجنيف رفض طموحاتهم القومية، فما كان من ماو والحزب الشّيوعي الصّيني إلا أن «يفتحوا النار» على التّحريفيّة المعاصرة ويأخذون على عاتقهم الدفاع عن «التّقاط الايجابية» عند ستالين بعد أكثر من عشرة سنوات على اغتياله.

كانت البرجوازيّة تعرف بغريزتها الطبقية وكذلك خدمها المفضوحين أمثال تيتو أنّ الهجوم على ستالين هو هجوم على الماركسيّة اللينينيّة وتقويض لدكتاتوريّة البروليتاريا، فاستغلوا المؤتمر العشرين وما تلاه لشنّ هجوم شامل على الماركسيّة اللينينيّة وعلى دكتاتوريّة البروليتاريا، لكن الوسطيّين من أمثال ماو كان ما يزال بحاجة لغطاء الماركسيّة اللينينيّة ليحافظ على مساندة والتفاف الجماهير في الصّين والعالم ليقوّي مركزه كقومي صيني ضدّ الأطماع الإمبرياليّة في الشّرق والغرب، فالصّين مازالت بلدا متخلّفا وفي خطواته الأولى نحو التّصنيع.

ويقر ماو والحزب الشّيوعي الصّيني بشعبيّة ستالين في العالم وفي الاتّحاد السّوفييتي وأن التّحريفيّين يخشون ردة فعل البروليتاريا لذلك ابقوا التقرير سريا بتواطؤ من ماو وأنور خوجة لأن هذين الأخيرين كانتهازيين وسطيّين (مثل معارضة كاوتسكي الانتهازيّة الوسطيّة لبرنشتاين) ما زالا بحاجة لغطاء الماركسيّة اللينينيّة من أجل المحافظة على دعم الطبقة العاملة والجماهير الكادحة في صراعهم ضدّ غطرسة الإمبرياليّة الغربية التّي لا تزال تهدد «الدّيمقراطيّة الجديدة» الماوية و«الدّيمقراطيّة الشّعبيّة» الخوجية. لذلك هم يعارضون «رفض ستالين بشكل كامل»، و«يعارضون القضاء عليه بضربة واحدة» حتّى «لا تنفر الجماهير» منهم. يقول ماو والحزب الشّيوعي الصّيني: «لا تقبل الأغلبيّة السّاحقة للسوفيتيين على أن نشتم ستالين بهذه الطريقة. فهم يظهرون دائما متشبثين بذاكرته. لقد انفصل قادة الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي عن الجماهير بشكل خطير. إذا كانوا يحسّون بأنهم ملاحقين ومهددين بشبح ستالين في أي لحظة، فذلك لأنهم في الحقيقة يصطدمون بالسّخط العميق للجماهير الشّعبيّة الواسعة تجاه الرفض الكامل لستالين. لازال خروشوف لا يجرأ على إحاطة الشّعب السّوفييتي وشعوب المعسكر الاشتراكي علما بالتّقرير السرّي الذّي يرفض ستالين بشكل كامل والذّي ألقاه في المؤتمر العشرين، لأنّ الأمر يتعلّق بتقرير غير صادق، تقرير سينفر منه الجماهير ويبعده بشكل خطير عنها.»[35]

ويفضح ماو والحزب الشّيوعي الصّيني منطلقاتهم القوميّة البرجوازيّة في الهجوم على ستالين. يقول: «وكما قيل أعلاه، كان ستالين يبدي في علاقاته مع الأحزاب الشّقيقة والبلدان الشّقيقة ميلا ما إلى شوفينية الدّولة الكبيرة. وقوام هذا هو الاستخفاف بالوضع الاستقلالي والمتساوي للأحزاب الشّيوعيّة والبلدان الاشتراكية في الوحدة الأمميّة».[36]

دعم التّقرير السرّي والأطروحات التّحريفيّة للمؤتمر العشرين:

«إنّنا لمقتنعون، نحن الشّيوعيّين الصّينيّين، بأن الانتقادات القاسية التّي طرحت في المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي ستسمح بالتأكيد لجميع العوامل الايجابية التّي

---

[35] حول مسألة ستالين، الحزب الشّيوعي الصّيني، 1963

[36] «من جديد حول التّجربة التّاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا»، هيئة تحرير الجريدة الصّينيّة «جين مين جهباو»، 29 ديسمبر 1956

خنقتها تدابير سياسية مغلوطة بأن تتفتح من جديد على الحياة في كلّ مكان، وبأنّ حزب وشعب الاتّحاد السّوفييتي سيوطدان وحدتهما بحزم أكبر أيضا في النّضال لبناء مجتمع شيوعي كبير لا سابق له في تاريخ الإنسانيّة، وفي سبيل سلم دائم في العالم قاطبة.» (حول التّجربة التاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا.»[37]

ولعب ماو دورا قذرا ونشيطا في دعم الانقلاب الخروتشوفي والتّصدي للسّتالينيين في الاتّحاد السّوفييتي وخارجه الذّين أدانوا التّحريفيّة: «إنّ الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي قد باشر إصلاح أخطاء ستالين وإزالة عواقب هذه الأخطاء، وهو ينجح في ذلك. ولقد أبدى المؤتمر العشرون للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي حزما عظيما وجرأة بالغة في العمل على إزالة تقديس ستالين، وعلى تبيان خطورة أخطاء ستالين، ومحو عواقب أخطاء ستالين. وإن الماركسيّين اللينينيّين ومن يعطفون على قضيّة الشّيوعيّة في العالم كله، يساندون الجهود التّي يبذلها الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي بغية إصلاح الأخطاء وهم راغبون في أن تتكلّل جهود الرّفاق السّوفييتيين بالنجاح التّام. ومن الجلي كلّ الجلاء أن إصلاح أخطاء لن يتم بين ليلة وضحاها، لأن هذه الأخطاء لم تكن ذات أمد قصير، بل إن هذا يستلزم بذل الجهود خلال مدّة طويلة نسبيّا، ومن الضّروري القيام بعمل دقيق إيديولوجي وتربوي. ونحن واثقون من أن الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي، هذا الحزب العظيم الذّي تغلب فيما مضى على صعوبات لا تحصى، سيتغلب دوما دون ريب على هذه الصعوبات أيضا ويبلغ غايته.»[38] تتكرّر عبارة «أخطاء ستالين» المزعومة في هذه الفقرة الصغيرة وحدها ثماني مرات!!!

دعم ماو والحزب الشّيوعي الصّيني للهجوم على ستالين تحت يافطة «عبادة الشّخصيّة»:

«بيد أن ستالين، بعد أن حاز على حظوة كبيرة لدى الشّعب، سواء في داخل الاتّحاد السّوفييتي أم خارجه، بتطبيقه الخط اللينيني تطبيقا صحيحا، وقع في خطأ المبالغة في دوره

---

[37] «خلاصة المناقشات التّي دارت في اجتماع موسع للمكتب السّياسي التابع للجنة المركزية للحزب الشّيوعي الصّيني»، جريدة «جيمنجباو»، 5 نيسان 1956،

[38] «من جديد حول التّجربة التّاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا»، هيئة تحرير الجريدة الصّينيّة «جين مين جهباو»، 29 ديسمبر 1956

الخاصّ وعارض القيادة الجماعيّة بسلطته الشّخصيّة. ونجم عن ذلك أنّ بعض أعماله سارت في طريق مخالف لمبادئ الماركسيّة-اللينينيّة.»[39]

«إن ستالين، بإهماله استخلاص الدّروس من الأخطاء المنعزلة، الجزئية العابرة، المتعلّقة ببعض المشاكل، لم يستطع أن يتجنّب تحولها إلى أخطاء فادحة تمسّ الأمّة بأسرها ولمدى طويل. ولقد راح ستالين، في الجزء الأخير من حياته، يزدهي أكثر فأكثر بعبادة الشّخصيّة تلك. فخرق نظام المركزيّة الدّيمقراطيّة في الحزب ونظام الجمع بين القيادة الجماعيّة والمسؤوليّة الفرديّة. وهذا قاده إلى اقتراف بعض أخطاء فادحة»[40]. ونقرأ أيضا: «إن النّضال ضدّ عبادة الشّخصيّة الذّي شُنّ أثناء المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي نضال عظيم وشجاع يخوضه شيوعيو وشعب الاتّحاد السّوفييتي لإزالة العقبات الإيديولوجية التّي تعرقل مسيرتهم إلى الأمام.»[41]

موقف ماو من التيتوية ومساندة تقارب خروتشوف مع تيتو:

«إذا كان الرّفاق اليوغسلاف يكنون كرها خاصا لأخطاء ستالين، فقد يكون ذلك مفهوما. إن الرفاق اليوغسلاف قد عرفوا ظروفا عسيرة في الماضي، وبذلوا جهودا ثمينة للدفاع عن الاشتراكية. وهم قد حقّقوا في المؤسّسات الصناعيّة وغيرها من المنظمات الاجتماعيّة خبرة بالإدارة الدّيمقراطيّة، مما لفت كذلك أنظار الناس. والشّعب الصّيني يرحّب بالتّسوية السّلمية التّي تمت بين الاتّحاد السّوفييتي والبلدان الاشتراكية من جهة، ويوغسلافيا من جهة أخرى».[42]

مساندة تيتو في نزاعه مع ستالين ومباركة التقارب الخروتشوفي التيتوي: «إن جهود الحكومة السّوفييتيّة في سبيل تحسين العلاقات بين الاتّحاد السّوفييتي ويوغسلافيا، وبيان الحكومة السّوفييتيّة بتاريخ 30 تشرين الأول 1956 والمحادثات التّي جرت بين الاتّحاد السّوفييتي وبولونيا في شهر تشرين الثاني 1956، لتؤكّد عزم الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي والحكومة

---

[39] المرجع السّابق

[40] المصدر السّابق

[41] المصدر السّابق

[42] المصدر السّابق

السّوفييتيّة على محو أخطاء الماضي في العلاقات الخارجيّة محوا نهائيا. وكل هذه التّدابير من جانب الاتّحاد السّوفييتي هي قسط هام يؤدي في قضيّة توطيد التّضامن الأممي البروليتاري.»[43]

التخلي عن الخط السّتاليني في مقاومة مؤامرات الإمبرياليّة لإعادة الرّأسماليّة وتبنّي خط خروتشوف:

عندما يتعلق الأمر بإدانة ستالين ودعم خروتشوف، يدعي ماو أن الطبقات زالت في الاتّحاد السّوفييتي وأن لا مبرّر للقمع في حين أنّه صدع رؤوس الجميع هو والحزب الشّيوعي الصّيني بـ«تطويرهم الخلاق للماركسيّة اللينينيّة» بالقول بتواصل واحتداد الصّراع الطبقي في ظل الاشتراكيّة ونقدهم لستالين عندما صرح في نهاية الثلاثينات بتصفية البرجوازيّة كطبقة. يقول الآن كلاما معاكسا: «رغم أن دكتاتوريّة البروليتاريا ضروريّة أيضا لمكافحة بقايا الثّورة المعاكسة داخل البلاد حتّى بعد القضاء على الطبقات المستثمرة وتصفية القوى المعادية للثورة في الأساس (ولا يمكن القضاء بشكل تام على هذه البقايا ما دام الاستعمار موجودا)، فانه ينبغي لها أن تكون موجهة بصورة رئيسيّة ضدّ القوى العدوانيّة الاستعمارية الخارجيّة لدفع خطرها.... لا التشبّث كما في الماضي بزيادة حدة النزاع الطبقي وقد اضمحلت الطبقات، ولا ما يترتب على ذلك من عرقلة لتطوّر الدّيمقراطيّة الاشتراكيّة تطوّرا سلميا كما فعل ستالين. إن الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي قد أصلح أخطاء ستالين في هذه المسألة إصلاحا حازما، وهذا شيء صحيح كلّ الصحّة.»[44]

دعم أطروحة خروتشوف حول التّحوّل السّلمي من الرّأسماليّة إلى الاشتراكيّة

اعتراف الحزب الشّيوعي الصّيني بخيانته وبعدم تصديه للهجمة التّحريفيّة على المبادئ العامّة للماركسيّة اللينينيّة: «عندما قدم خروشوف مسألة «الطريق البرلماني» لأول مرة في المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي السّوفييتي، اعتبر الحزب الشّيوعي الصّيني أن هذا كان خطأ عظيما، كان نقضا للنظريات الأساسية للماركسيّة اللينينيّة ويستحيل قبوله على الإطلاق.

---

[43] المصدر السّابق

[44] المصدر السّابق

ولكن نظرا لأنّ تحريفية خروشوف كانت وقتئذ في مرحلتها الابتدائية، ولم يكن قادة الحزب الشّيوعي السّوفييتي أثاروا المجادلات العلنيّة بعدُ، أمسكنا لحين من الوقت عن كشف خطأ خروشوف الذّي ارتكبه بتقديمه «الطريق البرلماني» كما لم ننقده علنا أيضا.»[45]

وحتى بعد مرور أكثر من 7 سنوات على الانقلاب الخروتشوفي، يواصل الحزب الشّيوعي الصّيني تمسكه «بالوحدة» مع التّحريفيّين ويؤيد من جديد أطروحات برنشتاين وكاوتسكي حول الانتقال السّلمي: «وفي اجتماع الأحزاب الشّقيقة عام 1960.... وتمشّيا مع الرّغبة العامّة التّي أبدتها الأحزاب الشّقيقة في وضع وثيقة مشتركة في الاجتماع، قدّم وفد الحزب الشّيوعي الصّيني تنازلا آخر في النّهاية حول هذه المسألة ووافق على إدراج الصّياغة الحرفية التّي وردت في تصريح عام 1957 بشأنها، وافق على إدراجها في بيان عام 1960، وكان السّبب أيضا هو مراعاة حاجيات قادة الحزب الشّيوعي السّوفييتي.»

ولا يخجل الحزب الشّيوعي الصّيني من تقديم مثل هذه التبريرات ويتشدق بأنه «وقد وزعنا في نفس الوقت في هذا الاجتماع عرضا عاما خاصا بآرائنا حول مسألة الانتقال السّلمي باسم الحزب الشّيوعي.... وأوضحنا أن مراعاتنا لقادة الحزب الشّيوعي السّوفييتي فيما يتعلّق بهذه المسألة، هي آخر مراعاة لهم وسوف لا نكرّر هذا مرّة أخرى.»

يوافق إذن على الوثيقة التّحريفيّة الرجعيّة التّي ستنشر لدى الطبقة العاملة العالميّة والشّعوب المضطهَدة ويتشدّق بتوزيعه داخل مؤتمر مكون من زعماء تحريفيين لوثيقته الخاصّة الانتهازيّة الوسطيّة كما أسلفنا.»[46]

بناء «الاشتراكيّة» مع البرجوازيّة الوطنيّة

الخصوصية الصّينيّة بالنّسبة لماو أقوى من المبادئ العامة للماركسيّة اللينينيّة ومن نظرية لينين وستالين عن الدولة ودكتاتوريّة البروليتاريا. هذه الخصوصية على درجة من القوة بحيث تغير من

---

[45] «الثّورة البروليتارية وتحريفية خروشوف»، بقلم هيئتي تحرير صحيفة «جينمينجيباو» ومجلّة «العلم الأحمر»، 31 مارس، 1964، دار النّشر باللغات الأجنبيّة، بكين، 1964

[46] المصدر السّابق

طبيعة البرجوازيّة وتجعلها تقبل الاشتراكيّة. يقول ماو: «في بلادنا التّناقضات بين الطبقة العاملة والبرجوازيّة الوطنيّة تناقضات تظهر في صلب الشّعب. صراع هاتين الطبقتين يحدّد عموما ضمن مجال صراع الطبقات في صلب الشّعب لأنّ للبرجوازيّة الوطنيّة، في الصّين، طابعا مزدوجا. في مرحلة الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة، كانت ذات طابع ثوري ولكن في الوقت عينه ظهر لديها توجه نحو الاتّفاق [مع الإمبرياليّة]. في مرحلة الثّورة الاشتراكيّة، تستغلّ الطبقة العاملة وتكسب منها أرباحا ولكن في ذات الوقت تساند الدّستور وتبدو مستعدّة للقبول بالتّحوّل الاشتراكي. إنّها تختلف عن الإمبرياليّين والمالكين العقاريين والبرجوازيّة البيروقراطيّة. التّناقضات التّي تجعلها تتعارض مع الطبقة العاملة هي تناقضات بين مستغِلّين ومستغَلّين وهي بالتأكيد ذات طبيعة عدائيّة، مع ذلك، في الظروف الملموسة لبلادنا، هذه التّناقضات العدائيّة يمكن أن تتحوّل إلى تناقضات غير عدائيّة وتحلّ بصفة سلميّة إذا عولجت بصفة حكيمة. لو أنّ التّناقضات بين الطبقة العاملة والبرجوازيّة الوطنيّة لم تحل بشكل صحيح يعنى إذا لم نمارس تجاهها سياسة وحدة ونقد وتربية أو لم تقبل البرجوازيّة الوطنيّة مثل هذه السّياسة، فإنها يمكن أن تمسي تناقضات بيننا وبين أعدائنا.»[47]

وفي الأخير، يعترف الحزب الشّيوعي الصّيني بالضّرر الفادح الذّي أحدثته التّحريفيّة الخروتشوفية على الحركة الشّيوعيّة العالميّة، ويهدّد بعد 11 سنة على اغتيال الرفيق ستالين وبعد أكثر من 8 سنوات على مؤتمر الخيانة العشرين بأنه لن يسكت مستقبلا عن أفعال التّحريفيّين: «لم تمض على انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي السّوفييتي غير ثماني سنوات فقط. وفي هذه الفترة القصيرة جدا من التاريخ، ألحقت تحريفية خروشوف أضرارا أكبر الدرجات وأخطرها بالاتّحاد السّوفييتي وبالقضية الثورية لدى البروليتاريا العالميّة.

لقد حان الوقت الآن وقد بلغ السّيل الزبى، لدحض تحريفية خروشوف ولمحاسبتها.»[48]

---

[47] ماو تسي تونغ: «حول الحلّ الصّحيح للتّناقضات في صلب الشّعب»، فيفري 1957

[48] «الثّورة البروليتارية وتحريفية خروشوف»، بقلم هيئتي تحرير صحيفة «جينمينجيباو» ومجلّة «العلم الأحمر»، 31 مارس، 1964، دار النّشر باللغات الأجنبيّة، بكين، 1964

# 5. أنور خوجة وحزب العمل الألباني: التآمر على ستالين والبُلشفيّة سنة 1956 ومحاولة التستر سنة 1975

لقد كان حزب العمل الألباني يؤكد أنّه كان دوما في مقدمة المحاربين للتحريفية المعاصرة. وقد تنامت ادعاءات هذا الحزب الزائفة خاصة بعد موت ماو تسي تونغ لما بدأ يسعى لزعامة حركة البروليتاريا العالميّة والشعوب المضطهدة. لقد تعاطى هذا الحزب مع قضية التّحريفيّة المعاصرة، مثله مثل ماو والحزب الشّيوعي الصّيني، من منطلق قومي برجوازي لا من منطلق ماركسي لينيني بُلشفي. ولئن كان ما يقود ماو والحزب الشّيوعي الصّيني هي الطموحات في تحويل الصّين إلى قوة عظمى، فقد كان الذّي يقود أنور خوجة وحزب العمل الألباني هو المحافظة على استقلال ألبانيا ضدّ أطماع الإمبرياليّة السّوفييتيّة والغربية وضدّ أطماع تيتو. والفارق في القوة بين الحزبين والدولتين هو الذّي يفسر الفوارق الكمية وغير النوعية بين موقف كليهما من التّحريفيّة الخروتشوفية، فقد حاولت الصّين استخدام هذه الورقة للضغط على خروتشوف من أجل الظفر باستمرار المساعدة الاقتصاديّة والفنية السّوفييتيّة وخاصة من أجل امتلاك أسلحة نووية، لذلك نجدها تراوح بين «التصعيد» والمهادنة مع الخروتشوفيين. لكن حجم ألبانيا وحزب العمل الألباني لم يكونا ليمكنا أنور خوجة من ممارسة التهديد إزاء خروتشوف، لذلك جاء موقفه في 1956 والسنوات الموالية انبطاحا أكثر من الموقف الصّيني وقد تبنّى بوضوح وحزم كافة أطروحات المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي السّوفييتي.

لقد تبنّى حزب العمل الألباني بكل وضوح الأطروحات التّحريفيّة للمؤتمر العشرين في مؤتمره الثالث المنعقد في ماي 1956، لكنه ينكر ذلك ويحاول تزييف تاريخه سنة 1971. يقول الحزب في «تاريخ حزب العمل الألباني» الصادر سنة 1971 «كانت جميع استنتاجات ومقرّرات المؤتمر الثّالث لحزب العمل الألباني مشبعة بالرّوح الثّوريّة الماركسيّة اللينينيّة التّي تناقض الرّوح التّحريفيّة التّي بصمت استنتاجات ومقرّرات المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي».

سنبين الآن زيف ادعاءات حزب العمل الألباني. يقول أنور خوجة في مقال حول الذكرى الخامسة عشرة لنشأة حزب العمل الألباني نشرته البرافدا في 8 نوفمبر 1956 «معتمدا على التّجربة والدروس المشجعة للمؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي، صاغ المؤتمر الثالث لحزبنا مقررات واضحة وصحيحة ترتكز على أسس الماركسيّة اللينينيّة.»

استشهادات من النصّ الأصلي (1956) لمقررات المؤتمر الثّالث لحزب العمل الألباني التّي وقع شطبها في طبعة 1975 للمؤلفات، المجلد الثاني، لأنور خوجة:

تبنّي أطروحة التّعايش السّلمي:

«إن المسائل اللينينيّة التّي طرحت في المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي فيما يتعلّق بتطوّر الوضع العالمي الحالي تكتسي أهميّة تاريخيّة بالنّسبة للإنسانيّة وتشكّل كنزا ثمينا جاء ليثري الماركسيّة اللينينيّة في الظروف الملموسة للوضع العالمي الرّاهن. إن مبدأ التّعايش السّلمي للنّظامين الاشتراكي والرّأسمالي كان دائما يقود السّياسة السّلمية للاتّحاد السّوفييتي.... يعلن الشّيوعيّون أن النّظام الاشتراكي سينتصر على النّظام الرّأسمالي عن طريق التباري السّلمي وستنتصر الشّيوعيّة حتما نتيجة تفوّق النّظام الاشتراكي على النّظام الرّأسمالي.»

تبنّي أطروحة إمكانية تجنب الحروب الإمبرياليّة:

«هناك أطروحة أخرى هي إمكانية تجنّب الحروب في عصرنا الراهن. هذه المسألة التّي تشغل الإنسانيّة باستمرار لقيت حلا صحيحا وعلميا من قبل اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي للاتّحاد السّوفييتي.... إن الأطروحات الماركسيّة اللينينيّة التّي تقول بحتميّة الحروب طالما الإمبرياليّة موجودة، وقعت صياغتها لما كانت الإمبرياليّة نظاما عالميا وحيدا وعندما كانت القوى الاجتماعيّة والسّياسيّة المعارضة للحرب لا تزال ضعيفة»

تبنّي أطروحة الانتقال السّلمي للاشتراكيّة:

«إن مسألة الانتقال إلى الاشتراكيّة عن طريق الحرب الأهلية أو بدونها، هي أيضا إنارة كبرى ومساعدة ثمينة لأحزاب الطبقة العاملة والشعوب الكادحة لكي تمسك بالسّلطة ولكي تحقق التحولات الاجتماعية ولكي تحوّل البرلمان البرجوازي، هناك حيث تكون البرجوازيّة غير قادرة على اللجوء إلى العنف، إلى أداة حقيقية للإرادة الشعبية ومن أجل ضمان انتقال وسائل الإنتاج

الأساسيّة بين يدي الشّعب.... لكل ذلك أثار المؤتمر العشرون للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي حماسا لا يفتر في العالم بأسره. ولهذا السّبب بالذّات تقع دراسة وثائق المؤتمر العشرين بكل عناية وأصبحت المنارة التّي تضيء درب الرجال الناشطين من ذوي النية الطيبة والذين يناضلون من أجل السّلم وحياة أفضل»

تبنّي إعادة الاعتبار لتيتو من طرف الخروتشوفيون:

يعتبر أنور خوجة أنّه خدع بنضال ستالين ضدّ التّحريفيّين اليوغسلاف ويدعي أن هؤلاء وقعت إدانتهم عن غير حقّ. ويحيي قيام خروتشوف «بإصلاح الخطأ» ويحذو حذوه:

«لقد حي الشّعب الألباني وحزب العمل بحماس وساندوا بالكامل إعلان بلغراد الممضى بين قادة الدولة السّوفييتيّة والدولة اليوغسلافية في شهر جوان 1955 وفرحوا لتطبيع العلاقات بين الاتّحاد السّوفييتي ويوغسلافيا.... لقد ساند حزبنا مقررات مكتب الإعلام (كومنفورم). لقد اعترفنا ونعترف الآن بأننا خدعنا كما خدعت الأحزاب الشّيوعيّة والعمالية الأخرى بالاستفزاز المدبّر ضدّ يوغسلافيا من طرف عميل الإمبرياليّة الحقير بيريا»

تبنّي أطروحة «عبادة الشّخصيّة» و«أخطاء» ستالين:

انضم أنور خوجة إلى خروتشوف في حملة تشويه ستالين وردد نفس الاتهامات الخروتشوفية حتّى يتمكن من التخلص من خط ستالين الثّوري الماركسي اللينيني:

«قدم المؤتمر العشرون للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييتي تحليلا عميقا ماركسيّا لينينيّا للدّور الحاسم الذّي لعبته الجماهير الشعبية بقيادة الحزب الشّيوعي في بناء الاشتراكية، وللضرر الكبير الذّي تسببت فيه عبادة الشخصية المنافية للماركسيّة اللينينيّة.... خطأ جوزيف ستالين الكبير يتمثل لا فقط في كونه قبل المديح والتعظيم لشخصه ولكنه قام هو بنفسه بدعم وتشجيع هذه الطرق المعادية للماركسيّة.

إن عبادة الشخصية وطريقة الإدارة التّي خلقها ستالين كانت تجسيما لخرق سافر وتشويه للمبادئ اللينينيّة حول القيادة الجماعية في الحزب. إن انتهاك ستالين لقواعد الحياة الحزبية وحلّه للقضايا بطريقة فردية وانتهاك وجهة نظر الحزب بأخذه إجراءات صارمة ضدّ أولئك الذّين يتخذون آراء مخالفة لآرائه، كان لا بد لها أن تسبب، وقد سببت بالفعل أضرارا فادحة.... وقادت الرفيق

ستالين لارتكاب أخطاء: فلم يظهر اليقظة اللازمة عشية الحرب الوطنيّة ضدّ النازية الألمانية، ولم يكرس العناية المطلوبة بتطوير الفلاحة الاشتراكية وتحسين مستوى عيش الكولكوزيين، وباشر وعالج القضية اليوغسلافية بطريقة خاطئة، الخ. في مثل تلك الحالات كان ستالين أحاديا في أفكاره وانفصل عن الجماهير.»

نُشر لأول مرة في:
الحوار المتمدن، العدد، 3658، 2012/3/5